145689 ـ هل يجوز الدعاء : اللهم اجعلني من أوليائك؟

السؤال

كيف أجمع بين قول النبي الذي نقدمه على كل قول وهو : (وإذا سألتم الله فسألوه الفردوس الأعلى) وهذا القول : عن أحمد قال : قلت لأبي سليمان الداراني : يجوز للرجل أن يقول اللهم اجعلني صديقاً؟ قال : إن عرف في نفسه من خصالهم شيئاً وإلا فلا يتعد فإن من الدعاء تعدياً . حيث إني مذنبة عاصية غافلة وفيّ من العيوب ما لا يحصيه إلا الله وأتمنى أن يغير الله حالي برحمة منه ، مثلاً أتمنى أن أكون من أولياء الله ، هل إذا دعيت ربي : اللهم اجعلني من أوليائك ، هل أنا متعدية؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً : ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ) . رواه البخاري (7423).

وفي هذا الحديث تعليم للأمة علو الهمة وطلب معالي الأمور ، كما ذكر المباركفوري في "تحفة الأحوذي" (7/201) .

وهذا الخطاب من النبي صلى الله عليه وسلم عام لجميع الأمة ، لا يستثنى منه أحد ، ولا يُشْكل على ذلك أن المذنبين والعصاة من المسلمين لا تؤهلهم أعمالهم لبلوغ هذه المرتبة من الجنة ؛ لأن دخول الجنة إنما هو محض فضل من الله على عباده ، وفضل الله لا يحده شي .

ثانيا : لا حرج على المسلم أن يدعو الله أن يكون من الأولياء الصالحين ، أو الصديقين المخلصين ، أو المتقين الأبرار .

ومن تأمل نصوص الأدعية الواردة في الكتاب والسنة وجد فيها كثيرا من الألفاظ التي تتضمن سؤال الله المنازل العالية والمراتب الرفيعة في الدين .

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين الذين يسألونه أن يجعلهم أئمة يهتدى بهم ، فقال تعالى في صفات عباده : (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا).

" والإمامة في الدين هي أرفع مراتب الصديقين ". انتهى من "مفتاح دار السعادة" لابن القيم (1/81) .

قال السعدي : " أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية ، درجة الصديقين والكُمَّل من عباد الله الصالحين ، وهي درجة الإمامة في الدين ، وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم ". انتهى من " تيسير الكريم الرحمن " صـ 587.

ومن الأدعية الثابتة في السنة النبوية : (... رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا ، لَكَ ذَكَّارًا ، لَكَ رَهَّابًا ، لَكَ مِطْوَاعًا ، لَكَ مُخْبِتًا ، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا ..) رواه الترمذي (3551) ، وقَالَ: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ" ، وصححه الألباني.

وفي سنن النسائي (1305) : (... اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ) ، وصححه الألباني.

وفي صحيح ابن حبان (5/303) : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لاَ يَرْتَدُّ ، وَنَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ ، وَمُرَافَقَةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ).

ومثل هذه الأدعية يدعو بها كل مسلم حتى العاصي ، فإن الله يغير ما بين لحظة وأخرى من حال إلى حال ، وقلوب العباد بين أصابع الرحمن يقلبها كيفما يشاء .

وكم من عباد الله الصالحين كانوا عصاة ومذنبين ، فتاب الله عليهم فتابوا وأنابوا حتى صاروا من أوليائه المتقين .

وينظر جواب السؤال (117186) .

ثالثاً : روى أبو نعيم في حلية الأولياء (9/265) عن أحمد بن أبي الحواري قال : قلت لأبي سليمان الداراني : يجوز للرجل أن يقول اللهم اجعلني صدّيقا .

قال : إن عرف في نفسه من خصالهم شيئاً ، وإلا فلا يتعدَّ ، فإن من الدعاء تعدياً .

وهذا الأثر المروي عن أبي سليمان الداراني ـ وهو من أئمة السلف توفي سنة (205) هـ ـ لا حجة فيه ، إذ الحجة بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولا نعلم أحدا من الأئمة وافقه على هذا القول ، فسؤال الله الولاية مطلب كل مسلم ، وليس في ذلك شيء من التعدي في الدعاء ، وللوقوف على ضابط التعدي ينظر جواب السؤال (128084) .

ويمكن حمل كلامه على معنى حسن ، وهو حث الداعي على أن يتخلق بأخلاق الصديقين ، فيجمع بين العمل والدعاء .

وسؤال العبد اللهَ الولاية ومنزلة الصديقين يقتضي ضمناً سؤال التوفيق للعمل بما يؤهل العبد للوصول إلى هذه المنزلة الرفيعة .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي : " سؤال عباد الرحمن ربهم أن يجعلهم للمتقين إماما ، يقتضي سؤالهم اللهَ جميع ما تتم به الإمامة في الدين ، من علوم ومعارف جليلة ، وأعمال صالحة ، وأخلاق فاضلة ؛ لأن سؤال العبد لربه شيئا سؤال له ولما لا يتم إلا به ، كما إذا سأل العبد اللهَ الجنة ، واستعاذ به من النار ، فإنه يقتضي سؤاله كل ما يقرب إلى هذه ويبعِّد من هذه ".

انتهى من "القواعد الحسان في تفسير القرآن" صـ 24.

والله أعلم